أبو الطيب مصعبى من شعراء اللسانين (العربى والفارسى)

دكتور : شعبان ربيع طرطور

مدرس اللغة الفارسية وادابها بقسم اللغة العربية وادابها

كلية الآداب بسوهاج ـ جامعة أسيوط

أبو الطيب محمد بن حاتم المصعبي البستى ، شاعر أجاد النظم(٢) باللسانين العربى والفارسى ، شأنه شأن معظم أقرانه فى عصره . لم يصلنا من شعره الاثمانية وعشرون بيتا.

وهو على حد قول أبى الفضل البيهقى (١) : صاحب ديوان رسائل نصر ابن أحمد السامانى (٣)(٣٠١ـ ٣٣١) (٩١٣ـ٩٤٣م) . ووزير للأمير نصر، كما ذكر الثعالبى .

لم تصلنا معلومات عن أبى الطيب سوى أنه من بست(٤)،وعاش فى بخارى(٥)

---

(١) هو أبو الفضل محمد بن حسين البيهقى ، ولد فى قرية بيهق فى الجنوب الشرقى من خراسان ، حوالى سنة ٣٨٥ هـ . (٩٩٥ م) وتوفى فى صفر سنة ٤٧٠ هـ ، (١٠٧٧ م) . من كتاب الغزنويين أجاد اللغتين العربية والفارسية . من مؤلفاته : تاريخ بيهق وزينة الكتاب ومقامات أبى نصر مشكان (مقدمة الدكتور يحيى الخشاب على تاريخ البيهقى الذى ترجمه إلى اللغة العربية بالاشتراك مع الدكتور صادق نشأت ، نشر مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٦ ، ص ٥ – ٦) .

(٢) المرجع السابق ص ١١٠ – ١١١ .

(٣) الثعالبى : يتيمة الدهر ، تحقيق وشرح محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ، المطبعة الثانية ١٩٥٦ ، ج ٤ ص ٧٩ .

(٤) بست بضم الباء مدينة بين سجستات وغزتين وهراة من أعمال كابل ، وهى حسنة كثيرة الخضر والانهار . (عز الدين بن الاثير الجزرى : اللباب فى تهذيب الانساب ، بغداد ج ١ ص ١٥١ . معجم البلدان ، بيروت د٠ت ح ٤١٤ ص ١) .

(٥) بخارى ، مدينة عظيمة مشهورة بما وراء النهر . قال صاحب كتاب الصور : لم أر ولا بلغنى أن فى جميع بلاد الاسلام مدينة أحسن خارجا من بخارى ... أحد متنزهات الدنيا (معجم البلدان ج ١ ص ٣٥٣ القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر بيروت ١٩٦٩ ، ص ٥٠٩– ٥١٠) .

فى خدمة الأمير السامانى الذى تولى الحكم وهو فى الثامنة من عمره ويذكر البيهقى أن هذا الأمير أدرك حدة طبعه وسوء مايفعله أثناء غضبه من ظلم وقتل ، وأنه كان يندم بعد ذلك، وذات يوم استدعى وزيره أبا الفضل البلعمى(١)، وصاحب الديوان أبا الطيب مصعبى ، وشرح لهما حالته ، وطلب منهما التدبير لهذا الأمر ، فنصحاه بأن يقيم لديه أعقل الندماء ، ويعطيهم الحق فى معارضته أثناء غضبه ، ففعل . وما أن انقضى على ذلك عام حتى زالت تماما الخصال السيئة عن الأمير.(٢)

ولانعرف شيئا عن تاريخ ولادة مصعبى .

أما عن حياته فنستطيع أن نستشفها من الأبيات القليلة التى وردت إلينا فى ثنايا كتب التراجم . . . .

فيبدو أنه أسرف فى اللهو والطرب أيام شبابه، حيث يقول :

اختلس حظك فى دنياك من أيدى الدهور
واغتنم يوما ترجيه بلهو ومرور
واصنع العرف إلى كل كفور وشكور
لك ماتصنع والكفران يزرى بالكفور(٣)

كما قال يطلب اللهو والمرح :

اليوم يوم بكور على نظام سرور
ويوم عزف قيان مثل التماثيل حور

---

(١) هو أبو الفضل محمد بن عبد الله البلعمى، وزر للسامانيين منذ عهد اسماعيل (٢٧٩ – ٢٩٥هـ) . (٨٩٢ – ٩٠٧ م) وحتى عهد الأمير نصر بن أحمد (٣٠١ – ٣٣١ هـ .) (٩١٣ – ٩٤٣ م) والبلعمى نسبة إلى مدينة بلعم فى آسيا الصغرى ، ويقال انها ناحية فى قرية بلا شجرد قرب مرو (السمعانى : الانساب ج ٢ ق ١٩ . تهذيب ج ١ ص ١٧٤) . معجم البلدان ج ١ ص ٤٨٥ .

(٢) تاريخ البيهقى ١١٠ – ١١١ .

(٣) يتيمة الدهر ج ص ٤٧٩ .

ولاتكاد جـــياد تروى بغير صفير(١)

كما قال فى غلام أعجمى :

يأبى من لسانه أعجمى أرى حسنه فصيح الكلام (٢)

ومأأن مضى الشباب وولى ، حتى أخذ يذمه ، ولايتمنى له أن يعود ، لأنه ملأ صحف حياته بالذنوب وسودها . فنجده يقول :

لم أقل للشباب فى كنف الله وفى ستره غداة استقلا

زائر زارنا مقيم إلى أن سود الصحف وولى(٣)

وغاب مصعبى ذات يوم عن عمله ، فلم يأته أحد من زملائه ليسأل عنه وعن سبب تغيبه. فيعاتبهم عتابا رقيقا، ويذكر لهم أنه لوغاب أحد لفعل مصعبى معه مايجب أن يفعله الخل مع خله،فيقول :

غبت فلم يأتنى رسول ولم يقل عله عليل

هيهات لوكنت خليلا فعلت مايفعل الخليل (٤)

وفى عام ٣٢٩ هـ (٩٤٠م) أو ٣٣٠هـ .(٩٤١م) ألف أبو حاتم محمد بن حيان بن أحمد البستى لمصعبى كتابا عن القرامطة ، فعينه مصعبى قاضيا على سمرقند ولكن أهل سمرقند أبوا عليه ذلك (٥).

ولا نعلم على وجه التحديد تاريخ وفاة مصعبى ، ألا أن المصادر تؤكد أنه توفى بعد وفاة الامير نصر الذى كان مقربا لديه ، وتتفق معظم الكتب على أن مصعبى تولى الوزارة فى عهد هذا الامير بعد وفاة الوزير ابى على أحمد

---

(١)يتيمة الدهر ج ٤ ص ٧٩

(٢) المرجع السابق ٧٩ .

(٣) المرجع السابق ٧٩ .

(٤) المرجع السابق ٨٠ .

(٥) معجم البلدان ح ١ ص ٤١٤ .

ابن محمد الجيهانى سنة ٣٣٠هـ. (١)(٩٤٢ م). وظل مصعبى مقربا لدى الأمير السامانى الى أن توفى الأمير ، وتولى بعده ابنه نوح الحكم ، فقبض على مصعبى بسبب اتهامه باعتناقه المذهب الاسماعيلى(٢) ، وترك لنا شاعرنا قصيدة يبدو أنه أنشدها وهو فى السجن والقصيدة هى :

جهانا همانا فسونى وبازى — كه بركس نبانى وباكس نسازى
جوماه ازنمودن جوخار(٣)ازبسودن — بكاه ربودن جو شاهين وبازى
جوزهر ازجشيدن جوجنك ازشنيدن — جوباد ازوزيدن(٤)جو الماس كازى
جوعود قمارى(٥) وجون مشك تبت — جوعنبر سرشته يمان وحجازى
بظاهر يكى بيت برنقش آزر — به باطن جو خوك بليد وكرازى
يكى را نعيمى يكى را جحيمى — يكى را نشيبى يكى را فرازى
جهان(٦) بوستانى براكنده نعمت — بدين سخت بسته برآن مهر(٧)بازى
همه آزمايش همه بر نمايش — همه بردرايش جوكرك طرازى

(١ تاريخ مفصل ايران ٢٢٩ .

(٢) الاسماعيلية طائفة شيعية تنسب إلى اسماعيل بن جعفر الصادق ، وسميت هذه الطائفة بأسماء أخرى منها السبعية لأنها تأخذ بالرقم سبعة فى كل شىء والباطنية لانهم يعتقدون بأن كل شىء له تفسير باطنى وظاهرى والملاحدة لخروجهم على أحكام الشرع والحشاشين لتناولهم مادة الحشيشة ، ويعتبر الحسن بن الصباح المؤسس الحقيقى لدولة الاسماعيلية النزاريه فى ايران ، وظلت هذه الدولة مصدر خطر يهدد الاسلام والعالم الاسلامى ، إلى أن جاء هولاكو إلى ايران وحطم قلاعهم وقضى عليهم سنة ٦٥٤هـ . (١٢٥٦ م) .(قواعد العقائد لنصير الدين الطوسى ، نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٣٩٣ مجاميع طلعت محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية القاهرة ١٩٥٩م . ٧٤ — ٧٥ . رحلات ماركوبولو ترجمة عبد العزيز جاويد ، القاهرة ١٩٧٧م . ٦٤ — ٦٥) .

(٣) هكذا أوردها د. محمد دبير سياقى فى كتابه كنج بازيافته، بخش نخست تهران ١٣٥٤ هـ.ش. ص ٨٤، أما الدكتور رضا زاده شفق فى تاريخ ادبيات ايران تهران ٢٥٣٥ شاهنشاهى . ص ١٣١ ، والدكتور ذبيح الله صفا فى تاريخ أدبيات در ايران تهران ١٣٥١ هـ.ش. ح ١ ص ٣٩٣ ، فقد أورداها « خور » .

(٤) صفا ، وشفق « بزيدن »

(٥) اسم محلة فى الهند ينسب اليه العود (معجم البلدان ج ٤ ص ٣٩٦) .

(٦) صفا وشفق « يكى »

(٧) المرجعين السابقين « نيك »

هم ازبست شهمات شطرنج بازان ترا مهره داده به شطرنج بازی
جرا زیرکانند بس تنك روزی جرا ابلهانند در پی نیازی(١)
جرا عمر طاووس ودراج کوته جرا مار وکرکس زید دردرازی
صد واند ساله یکی مرد غرجه جرا شصت وسه زیست آن مرد تازی
اکرنه همه کارتو بازکونه است جرا آنکه ناکس تراورا نوازی
جهانا همانا ازین بی نیازی کنهکار مائیم توجای آزی (٢)

ومعناها باللغة العربية :

— أيتها الدنيا . . انما أنت لهو ولعب ،
فأنت لا تدومى لاحد ، ولا تصاحبى أحدا(٣) .

— أنت مثل القمر فى الظهور ، مثل الشوك فى الملمس ،
أنت وقت القنص مثل الشاهين والبازى .

— أنت كالسم فى المذاق ، كالصنج فى السمع ،
أنت كالريح فى الهبوب ، كالماس فى القطع .

---

(١) الشطرة الثانية فى صفا وشفق :
« جرا ابلهان راست بس بی نیازی »

(٢) القطعة كما أوردها د . دبير محمد سياق فى كتابه «كنج بازيافته » تهران ١٣٣٤ ش . ص ٨٤ ولقد جمع صاحب الكتاب شعر مصعبى بالعربية والفارسية من كتب التذاكر .

(٣) يذكرنى هذا البيت بقول أبى العتاهية الشاعر العربى المشهور :

نحن فى دار يخبرنا ببلاها ناطق لسن
دار سوء لم يدم فرح لامرىء فيها ولا حزن

(ابن واصل الحموى : تجريد الاغانى ، تحقيق د . طه حسين وإبراهيم الابيارى ، القاهرة ١٩٥٥ ، القسم الاول ، الجزء الثانى ص ٤٦٣) .

— أنت مثل العود القمارى(١) ، أنت مثل مسك التبت(٢) ،
أنت مثل العنبر المعجون ، اليمانى والحجازى
— أنت فى الظاهر مثل دار مملوءة بالنقوش والزخارف .
أنت فى الباطن مثل خنزير قذر ، خنزير برى .
— تهبين واحدا النعيم ، وتمنحين واحدا الجحيم ،
نجعلين واحدا فى هبوط الانحدار ، وواحدا فى غاية الارتفاع .
— أنت بستان متناثرة فيه النعم .
موصد فى وجه هذا ، مفتوح لذاك .
— كلك محنة ، كلك زخرف ، —
كلك مملوءة بالمظاهر مثل ذئب طراز(٣) .
— من عقدة الشاه مات (الملك مات) ، فقد أسلمك .

---

(١) قمار : مدينة مشهورة بأرض الهند ، قال ابن الفقيه : أهلها على خلاف سائر الهنود ولا يبيحون الزنا ويحرمون الخمر ، وملكها يعاقبهم على شرب الخمر ، وينسب اليها العود القمارى ، وهو أحسن أنواع العود .
(معجم البلدان ج ٤ ص ٣٩٦ . آثار البلاد ١٠٥) .

(٢) تبت : بلاد متاخمة للصين من أحدى جهاته وللهند من جهة أخرى مقدار مسافتها مسيرة شهر ، بها مدن وعمارات كثيرة . بها ظباء المسك ، لها نابان كنابات الخنازير ، وسرتها مسك ، ولكن مسك ظباء تبت أحسن أنواع المسك لان ظباءها ترعى السنبل ، وأهل تبت لا يتعرضون للمسك حتى ترميه الغزال ، وذلك أنه يجتمع الدم فى سرتها مثل الخراج ، فاذا تم ذلك الخراج تأخذ الغزال شبه الحكة ، فاذا رأت حجرا عادا تحك سرتها به والدم يتفجر منها ، والغزال تجد بذلك لذة فتحك حتى تنصب المادة كلها من السرة وتقع على ذلك الحجر ، وأهل تبت يتبعون مراعيها . فاذا وجدوا تلك المادة المنفجرة على الحجر أخذوها وأودعوها النوافج . فانها أحسن أنواع المسك لبلوغ نضجه ، وأن ذلك يكون عند ملوكهم يتهادون به ، قل ما يقع منه بيد التجار . وبها فارة المسك . (معجم البلدان ج ٢ ص ١٠ — ١٢ . آثار البلاد ٧٩ — ٨٠ . تلخيص الآثار وعجائب الملك القهار ١٠ أ .) .

(٣) طراز : مدينة فى أقصى بلاد الشاش مما يلى تركستان ، طيبة التربة عذبة الماء لطيفة الهواء كثيرة الخيرات ، أشبه شيء بالجنة لان أهلها فى غاية الحسن الصورة ، ليس فى تلك النواحى أحسن منهم صورة ، رجالهم ونساؤهم إلى حد يضرب بهم المثل . (معجم البلدان ج ٤ ص ٢٧ . آثار البلاد ٥٤٤) .

لاعبوا الشطرنج الزهر :

— لم يضيق فى الرزق على أولى الفطنة؟ . .
ولم ينعم الحمقى بفراغ البال ؟ . .

— لم يقصر عمر الطاووس والدراج ؟. .
لم يطول عمر الثعبان والكركس ؟. .

— لم يعمر رجل غر حقير مائة ونيف عام ؟. .
ولم يعمر أكثر من ثلاث وستين سنة ذلك النبي العربى . .

— إذا لم تكن كل أعمالك معوجة ،
فلم تدللين أسافل الناس ؟. .

— يادنيا . . أنت فى غنى عن هذا ،
نحن عصاة ، وأنت موطن الحرص .

والقصيدة تدل على مدى سخط الشاعر على الدنيا وبرمه بها وبأحوالها وربما يكون قد قالها وهو فى السجن ينتظر قدر فى كل لحظة ، وقتل فعلا بعد وفاة الأمير نصر بقليل .

كما قال مصعبى يفتخر بشعره ، وبنفسه :
شكر شكنست يا سخنكوى منست عنبر ذقنست ياسمنبوى منست(١)
ومعناه :

— أحبيبات سكر أم أنها أشعارى ،
أعنبر ذقنى(٢) أم أنها عطر ياسمينى أنا .

ونستطيع أن نقول من خلال الأبيات القليلة التى وصلتنا من شعره أنه كان

---

(١) كنج باز يافته ٨٥ .

(٢) ذقن : قال عنها ياقوت : ذقان : بكسر أوله موضع وقيل جبل ، والذقن أصل اللحية ، وقال أبو زياد : ذقانان جبلان فى بلاد بنى كعب (معجم البلدان ج ٣ ص ٦) .

شاعرا مجيدا لفن النظم باللغتين العربية والفارسية، وانه كان صاحب أشعار كثيرة الا أنها ذهبت كما ذهبت نفسه ضحيه رفضه .

وهو كما قال عنه الثعالبى :

« كان فى جميع أدوات المعاشرة والمنادمة وآلات الرياسة والوزارة على ماهو معروف ومشهور ،وكانت يده فى الكتابة ضرة البرق ،وقلمه فلكى الحرب ، وخطه حديقة الحدق، وبلاغته مستملاة من عطارد وشعره باللسانين نتاج الفصل وثمار العقل (١)

(١) يتيمة الدهر ج ٤ ص ٧٩

مراجع البحث

أولا ــ المراجع الفارسية :

١ ــ ذبيح الله صفا (دكتر) : تاريخ ادبيات درايران ، جا تهران ١٣٥١هـ.ش .

٢ ــ رضا زاده شفق (دكتر): تاريخ ادبيات ايران، جاب دوم ٢٥٣٥ شاهنشاهى .

٣ ــ عباس اقبال : تاريخ مفصل ايران ، بكوشش د. محمد دبيرسياقى ،از انتشارات كتابخانهٔ خيام .

٤ ــ محمد دبير سياق (دكتر) : كنج باز يافته ، بخش نخست ، تهران ١٣٥٤هـ.ش

ثانيا ــ المراجع العربية :

٥ ــ ابن واصل الحموى : تجريد الاغانى ، تحقيق د. طه حسين ، ابراهيم أبو الفضل الابيارى ، القاهرة ١٩٥٥ .

٦ ــ أبو الفضل البيهقى : تاريخ البيهقى ، ترجمة د. يحيى الخشاب ، صادق نشأت القاهرة ١٩٥٦ .

٧ ــ أحمد السعيد سليمان (دكتور) مترجم : معجم الأسر الحاكمة ، دار المعارف ١٩٦٩.

٨ ــ الثعالبى : يتيمة الدهر ، تحقيق وشرح محى الدين عبد الحميد ، ، القاهرة ١٩٥٦.

٩ ــ زكريا القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت ١٩٦٩،

١٠ ــ السمعانى : الأنساب ، لندن ١٩١٢.

١١ ــ عبد الرشيد صالح بن نور الباكوى : كتاب تلخيص الآثار وعجائب الملك القهار ، موسكو ١٩٧١.

١٢ ــ عز الدين بن الاثير الجزرى : اللباب فى تهذيب الأنساب ، بغداد د.ت.

١٣ـ ماركوبولو : رحلات ماركو بولو، ترجمة عبد العزيز جاويد ، القاهرة ١٩٧٧.

١٤ـ محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية ، القاهرة ١٩٥٩.

١٥ـ نصير الدين الطوسى : قواعد العقائد ، نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٣٩٣ مجاميع طلعت .

١٦ـ ياقوت الحموى . معجم البلدان . دار إحياء التراث العربى . بيروت . لبنان.